

عشر جمادى الآخرة سنة احدى وثمانمائة (١٣٩٩ م) (١٥٦)

قدّمنا ذكر هؤلاء المذكورين على ذكر ابناء اولاد زين الدين المبدؤ بذكره في الطبقة الثالثة لكون فيهم من هو اسن منهم واقدم عهداً قدّمناهم بالذكر على ابناء زين الدين لترتيب الممارسة التي عاصروا فيها بعضهم بعضاً وان كان منهم من هو اصغر من ابناء اولاد زين الدين فهو تبع لقرابته فاقترضت الحال ان نجمله مع اقرابه ونجعل ابناء اولاد زين الدين يتلو بعضهم بعضاً ويكون ذكركم خاتمة طبقة جدّهم (ستأتي البقية)

عقل الحيوان

(ردّ على مكاتب الضياء)

للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يتبع « الكاتب الفاضل خليل بك سعد » بانتقادنا على مقالته في « قوى الحيوان العاقلة » التي نشرها في مجلة الضياء . فحاول في العدد الاخير من هذه المجلة (١٥:٢) نقض الأدلة اللامعة التي اثبتنا فيها فساد رأيه والاخرى ان نقول أنه ضرب عن هذه البينات صنجاً ليلتجى الى المباحكة والتسويه ويسرنا أنه صرح هذه المرّة عن نيّته ودافع جهاراً عن وحدة العقل في الانسان والبهيمة ولم يتعدّ كما فعل في مقالته الاولى .

هذا واننا نشكر جناب الكاتب ثناءً على الاباء اليسوعيين « لفضلهم في نشر المعارف ولوقوفهم بالمرصاد لانتقاد كل ما يشتمون فيه رائحة المباشرة للمركول اليهم تعضيدها فيخدمون بذلك الأمة والعلم خدمة تذكر فنشكر اذ لا يخفى ما يترتب على الانتقاد والمناظرات الادبيّة في العلم من العوائد الكثيرة التي تنجم عن البحث واحتكاك القرائح فضلاً عن استلفات الجمهور للسطاعة والاستفادة . » والحق يقال أننا لم نردّ على كاتب هذه الاسطر الا لما لحنا في مقالته من ثل اركان « المبادئ المركول الينا تعضيدها » بل قل بالاحرى انها المبادئ المركول تعضيدها الى كل ذي عقل صائب وذوق سليم فان رشقها احد بسهامه وجدنا في طريقه للدفاع والمناضلة عنها . وذلك ما اوجب نكيرنا على « حضرة العلامة الناظر صاحب مجلة الضياء » لأنه يتساهل في

نشر مقالة سفسطية تناوي بين الحيوان والانسان في محجة مصدره باسمه كأنه يصادق على هذه الآراء الكفرية فضلاً عن كونه يُريب القراء بصحة معتقده. فبيات اذن ان نمد " نشر مثل هذه الحقائق (الاباطيل) خدمة العلم والدين " وأتأ نعمتها ضللاً ومفسدة للاخلاق يتفق معنا في ذلك كل اصحاب الاديان ونصراء الآداب. وقد شعر بذلك قراء مقالة " قوى الحيوان العاقلة " لانهم لم يطلبوا من صاحبها متابعة هذا البحث إلا " مع التردد والتوجل " فليت شعري ما لهم يترددون ويوجاون ان كان مدار الكلام على حقيقة من الحقائق. فان الحق لا يتردد ولا يوجل بل له القوز والظفر شاء اعداؤه ام ابوا. والادلى ان يقول جناب المدافع عن عقل الحيوان انهم لم يترددوا إلا لعلمهم بان مقالته تخالف معتقد كل من له شاعرة دينية او حس ادبي

ولكن هلم فنحصر ما اتانا به " الكاتب الفاضل " من الادلة الجديدة لدحض مقالته. قال: " يعترض علينا بما جاء في الزمرد التاسع والاربعين: وهو الانسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي لا عقل لها . الخ "

(جوابنا) على هذا القول: اولاً أننا لم نعترض على جناب الكاتب بهذه الآية او غيرها من آيات الكتاب الكريم لعلنا ان من يثبت عقلاً للحيوان لا يؤمن بالكتب المنزلة وأتأ اتخذها مطلقاً لمقالته. امأ ادلتنا فأتها ادلة عقلية وقد سكت عنها جناب الكاتب أفلمه لم يقف عليها ؟ وان وقف فما له لم يدحضها ؟

ثانياً لم نزر آية الزمرد كما رواها جناب الكاتب فلم نقل: « هو الانسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي لا عقل لها » بل رويناها بالحرف عن ترجمتنا المطابقة للاصل العبراني: « كان الانسان في كرامة فلم يفهم فائل البهائم وتشبه بها ». فكيف اجاز الكاتب لنفسه ان يفسد روايتنا كي يرد عليها فذلك مما يدل على احد امرين امأ أنه لم يطالع مقالته او أنه حرفها عمداً ليفتدها وكلا الامرين عار على صاحبها

ثالثاً ان آية الزمير كيفما ترجمها جناب البك الى العربية تؤيد قولنا لان مرجعها الى ان الانسان يختلف اختلافاً جوهرياً عن الحيوان فاذا تعدى وصاياه تعالى اضعى كالبهيمة فلم يتخذ عقله الفرز له عن الحيوان كصباح يستدير به لمعرفة ارادة الخالق واتمامها. هكذا فسر عامة المفسرين لهذه الآية منذ بدء التصرائية الى يومنا وعليه فان قول الكتاب يبين صريحاً ان العقل هو المميز الوحيد بين الحيوان والانسان

ثم اردف جناب الكاتب بعد ذلك قوله بان الكتاب المقدس « لم ينفِ كون المبدأ العقلي فيها وفي الانسان واحداً »

(فتحيب) أولاً كجوابنا السابق أننا لم نبنِ بحثنا على آيات الكتاب بل على براهين عقلية قاطعة فما بال جناب البك يغير نقطة الجدل ؟

ثانياً قد تمدى الكاتب طوره بالالتجاء الى الكتاب الكريم فانه ليس من ذويه ولعله لم يقرأ قط بل ولم يؤمن به . وعلى كل حال نجيبه جواب ذلك المردود الشهير للخذاء المنتقد على ما سوى العمل في صورته : « لا تتجاوز الخذاء » فلكل رجل صنمته ثالثاً قد استغربنا في الضحك عند مطالعتنا ما سطره جناب البك ليثبت ان الحيوان عقلاً اذ استشهد بالحياة التي نطقت فأغرت المرأة الاولى في الفردوس . فنسأل راقم هذه الحروف ألهة رأى حيات كثيرة تنطق مثل هذه ؟ وان كانت هذه الحياة نطقت بطبيعتها فما لبقية الحيات نسيت لهجة اجدادهن لاسياً وان اصحاب الترتي يزعمون ان الحيوان كما الانسان كان في البدء جرثومة صغرى فلم تزل في تحسن دائم الى ان صارت كما هي اليوم وسوف تصير كالانسان في مستقبل الزمان - وان كانت لم تنطق الحياة بطبيعتها فكيف استحل جناب البك قوله « بانها لم تكن شيطاناً » او آله في يده الا ان هذا القول مطابق لرعم من ينكر وجود السحر كما فعل الضياء (١ : ١٢٩ ، ٢٠٢) والمهلال والمتتطف مراراً وقد قدنا زعمهم بما لا يُنقض من البراهين الشرعية والعقلية في البشير والمشرق .

رابعاً وكان في رُسع الكاتب ان يأتينا بآية أخرى من آيات الله هي أقوى على بيان حجته وما نعلم سبب سكوتها عنها ألا وهي آية آتان بلعام (سفر العدد ٢٢) التي نطقت بكلام اعقل من كلام الحياة وحرضت رآكبها على طاعة الله عز وجل بينما كان يُنطق الحياة للتمرّد والعصيان . ولكن الى كاتب مقالة « قوى الحيوان المساقاة » ان ينتشهد بآتان لعله ان لا احد من القراء يسلم له بعقل ام الآذان الطرية فلنأتين الآن الى براهين جناب البك التي أسندها الى الوجه العلمي . وما ادراك ما هذه البراهين ؟ هي « شواهد عديدة تدلُّ دلالة صريحة على وجود التعقل في الحيوان والتدرج في الادراك الى حد يكفي للدلالة على كون المبدأ العقلي فيه وفي الانسان واحداً ولا يختلف عن تعقلنا الا في الكم والكيف »

(نقول) اننا كنا نتوقع براهين عقلية تنقض الحجج التي اردناها في ردنا الاول (المشرق ٢: ٧٥٢) فعاد جناب الكاتب يذكرنا « بالشواهد الدالة على تعطل الحيوان » التي عرضها بمقالته السابقة . كأننا نجهد او لم نسلم له صريحاً (راجع مقالتنا ص ٢٥٤) بان في المعجرات دلائل كثيرة تدل على نباحها ودكائها . وانما شكر عليه كل التكثير ان هذه الدلائل تنبئ بعقل او مبدأ عقلي في الحيوان . اثبتنا ذلك بيئات ناطقة وشواهد صادقة لم ينقض منها جناب الكاتب ذرة واحدة بل ولم يأت لها بذكر . أفهكذا يصكرون فن الجدال ! فليضعف المتصفون

أما قوله « انه لا يمكننا ان نيين الى اي حد تنتهي التريزة في الحيوان » فذلك محض سفسطة . كما لو قلنا « انه لا يمكننا ان نيين الحاجر الموجود بين النبات والحيوان فاذن مبدأ حياة الحيوان والنبات واحد » أفلا يرى جناب البك ان النتيجة تخرج عن التدمات . فان لم يمكن بيان هذا الحد انما يكفي ان نميز بين قوى الحيوان وقوى النبات فان للنبات النمو والتناسل وللحيوان الحس والقوى المشتركة كالخبرة والذاكرة ولا يشبه الامر على احد من البشر . وكذلك نقول عن سليقة الحيوان والعقل البشري فان لكل منها خواص يميزها كل انسان وان سلطنا بعدم علمنا بالحد الذي يمكن السليقة ان تبلنهُ . وعليه قد سقطت حجة جناب البك ونعيد الامل بان ينظر في ادلتنا السابقة ومجيبنا عنها . وله الفضل سلفاً

السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوي (تابع لما سبق)

قللاً رأى المسافر الهندي عند أقدامه قال :
لا تظن ان بكاءك ينجدني أيها الشقي فانكم تريدون ان تدفنوني حياً في
هذه المضائق كما فعل امثالكم بنيري فذهبوا ضحية اطعابكم
قال هذا واطرق صامتاً وسكت الجميع معه . . .
وبيناهم كذلك اذا بصدى صوت بشري دوت له الجبال كأنه صوت ملهوف آتس
من الحياة يطلب عرنا في بلانه